al-Burhān

JOURNAL OF QUR'ĀN AND SUNNAH STUDIES

VOLUME 2, NUMBER 1, JUNE 2018

INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

eISSN: 2600-8386

al-Burhān

Journal of Qur'ān and Sunnah Studies
Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences

Volume 2 **1440/2018** **Issue No. 1**

Editor-in-Chief
Assoc. Prof. Dr. Ammar Fadzil

Assistant Editor
Asst. Prof. Dr. Nadzrah Ahmad

Managing Editor
Mardhiah Binti Ahmad Sahimi

Editorial Board
Prof. Dr. Mohammed Abullais Shamsuddin
Assoc. Prof. Dr. Radwan Jamal Yousef Elatrash
Assoc. Prof. Dr. Noor Mohammad Osmani
Assoc. Prof. Dr. Spahic Omer
Asst. Prof. Dr. Muhammad Adli Musa
Asst. Prof. Dr. Khairil Husaini Jamil
Asst. Prof. Dr. Mohd Shah Jani
Asst. Prof. Dr. Sofiah Samsudin

Advisory Board

Prof. Dr. Muhammad A. S. Abdel Haleem, University of London
Prof. Dato' Dr. Mohd Yakub @ Zulkifli Bin Mohd Yusoff, Malaysia
Prof. Dr. Awad Alkhalaf, UAE

© 2017 IIUM Press, International Islamic University Malaysia. All rights reserved.

ISSN 2600-8386

Correspondence
Managing Editor, *al-Burhān*
IIUM Journal of Qur'an and Sunnah Studies
International Islamic University, Malaysia
P.O Box 10, 50728 Jalan Gombak,
Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6196-5531
E-mail: alburhan@iium.edu.my
Website: http://journals.iium.edu.my/al-burhan

Published by:
IIUM Press, International Islamic University, Malaysia
International Islamic University, Malaysia
P.O Box 10, 50728 Jalan Gombak,
Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: (603) 6196-5014, Fax: (603) 6196-6298
Website: http://iiumpress.iium.edu.my/bookshop

AL-BURHAN, 2:1 (2018) 98 - 109
Copyright © IIUM Press
eISSN 2600-8386

التأليف في التفسير وتراجم القرآن لدى علماء شمال نيجريا قديمًا وحديثًا

Writing of a Tafsir and Translation from Old-Age and Modern Nigerian scholars

عمر عباس عبد القادر*

Umar Abbas Abdul Qadir

ملخص: تحدثت هذه الورقة عن تاريخ علم التفسير والتراجم في شمال نيجيريا من عصر الشيخ المجدد عثمان بن فودي حيث ألف أخوه الشيخ عبد الله بن فودي كتابين متميزين في هذا الفن ولم يجد الباحث في منطقة إفريقية الغربية مثلهما، فالكتاب الأول سماه بـ(ضياء التأويل في معاني التنزيل) والثاني بـ(كفاية ضعفاء السودان) كما تحدثت عن علم التفسير في العصر الحاضر من مجيء المستعمر الإنجليزي إلى اليوم فوجد كتابًا واحدًا للشيخ أبوبكر جومي المسمى بـ(رد الأذهان إلى معاني القرآن) وتحدثت عن المؤلفات في تراجم القرآن إلى لغة الهوسا وميزت كل منها. كما تحدثت عن أساليب علماء المنطقة في إلقاء دروس التفسير وفي الأخير الخاتمة وفيها ذكر النتائج التي توصل إليها الباحث والتوصيات.

كلمات مفتاحية: التفسير، التراجم، علماء نيجريا.

Abstract: The paper discuss on the history of Tafsīr and Qur'ānic Translation in Northern Nigeria, it was divided into two parts, the first one is the period of Sheikh ʿUsmān bin Fodio, it mention that the most famous Books of Tafsīr in the era of sheikh ʿUsman that was written by his brother and student of sheikh ʿAbdullahi bin Fodio, he wrote three books of Tafsīr in Arabic language, the two of them are complete qur'ānic Tafsir. The largest among them is *Dhiyaʹ Taʹwīl fi ma'aanī tanzīl* it was published in four moderate volumes, the second Book titled *Kifayat Dhuʿafaaiʹ Sudān* was also published in one volume. While the third one is not a complete Tafsīr is a compilation of some prophetic tafsīr of some Qur'ānic portions titled: *Nailussu'ul min Tafāsīr al- Rasūl.* The second part of the Paper Unveils nature of Tafsīr writing is the Books of Sheikh Abubakar Mahmud Gumi are among the renowned books in the Area. He wrote Two Books, the first one is a Qur'ānic Translation into Hausa Language and was published in one big volume. The second book is a complete Qur'ānic Tafsir in Arabic Language named *Raddul azhān Ila Ma'anil Qur'ān* and was published in two volumes. Another writer in this field was Sheikh Muhammad Nasir Kabara, he wrote a tafsīr in Hausa language named *Ihsānul Manʿaan Fi Izhāri Khabāyal Qur'ān*, published in four volumes. The paper also described the method of writing of the Author of each book.

Keywords: exegesis, interpretation, scholar of Nigerian.

* Lecturer, University Bayero, Kan, Nigeria. E-mail: ubbasu@gmail.com

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأنزل القرآن ويسره للذكر، وجعل العقل أداة النظر والتدبر، القائل في محكم تنزيله، ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف:2] والقائل: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [ص:29] كما نعى على الذين لا يتدبرون القرآن, قائلاً: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد :24].

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير الذي أرسله الله ليبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون وبعد،

قد تناولت الورقة تاريخ علم التفسير في شمال نيجيريا من عصر الشيخ المجدد عثمان بن فودي إلى عصرنا الحاضر، فتحدثت عن كتب التفسير التي ألفت في عصر الشيخ المجدد والتي كتبت في العصر الحاضر، كما تحدثت عن كتب ترجمة القرآن، وكذلك ألقت ضوءًا عن كيفية تعامل الناس مع كتب التفسير والترجمة، ليتضح الخطأ والصواب في تعاملهم معها.

علم التفسير في عصر الشيخ المجدد عثمان بن فودي:

لقد شهد هذا العصر الميمون كوكبة من العلماء الجهابذة المتفننين لشتى العلوم الشرعية، ولم يمضوا حتى دوّنوا أكثر ما لديهم من العلوم، وقد وصلت إلينا بعض مؤلفاتهم، وطُبع جزء كبير منها، والجزء الآخر غير مطبوع، وقد ضيّع كثيرًا منها المستعمرون وأخذوا بعضها إلى بلادهم، وما وصل إلينا فيما يتعلق بالتفسير في ذلك العصر كله من مؤلفات رجل واحد إذ لم يجد الباحث من كتب في التفسير مباشرة في عصره سواه. وهو الشيخ العلامة عبد الله[1] بن فودي رحمه الله، له كتاب (ضياء التأويل في معاني التنزيل) مطبوع في أربعة مجلدات وهو أكبر كتاب التفسير في هذه المنطقة إلى يومنا هذا، وطريقته في كتابة هذا التفسير على النحو التالي:

1 – إيراد أوجه القراءات السبعة المشهورة، وبيان ما تفيده من المعنى عند التفسير.

2 – ذكر الأحاديث الموضحة لمعنى الآية، من غير ذكر سندها، وإنما يكتفي بذكر من أخرجها، وإذا كان الحديث في الصحيحين يقول: "ورد في هذا حديث صحيح" وإذا جاء من غيرهما يذكر اسم الكتاب أو المؤلف ودرجة الحديث وأحيانًا إذا كان للحديث شواهد ومتابعات يوردها، فكأنه يحاول تقوية الحديث إن كان ضعيفًا.

[1] . هو أبو محمد عبد الله بن محمد الملقب بابن فودي، ولد سنة 1179هـ، وتوفي سنة 1245هـ، أخ للشيخ عثمان بن فودي ووزيره الأول، نشئ على يد الشيخ وتعلم العلوم منه. له مؤلفات في التفسير وعلومه، والحديث وعلمه، والقراءات، والأصول، واللغة، والفقه، والسياسة.

3 – بيان مسائل اللغة: أما إذا شرع في بيان اللغة من نحو وصرف واستشهاد بالأشعار القديمة فكأنه قصد بتفسيره إعراب القرآن، ومما يدل على تبحره في اللغة أنه ألّف كُتبًا في النحو والاعراب تسمى ب(البحر المحيط) و(لمع البرق في الإعراب) و(اللؤلؤ المصون في علم القواعد) وفي الصرف ككتاب (الحصن الرصين).

4 – وعند تفسير آيات الأحكام، يذكر خلاف العلماء والأئمة من غير الترجيح.

5 – يميل إلى رأي الأشاعرة فيما يتعلق بآيات العقيدة، [2].

6 – ويتناول المسائل الأصولية كعالم متخصص فيها، وقد نظّم كتاب مفتاح الوصول إلى علم الأصول للتلمساني[3] ما يقرب ألف بيت وسماه ب(ألفية الأصول).

ومن كتب الشيخ العلامة في التفسير، كتاب (كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن). طبع في مجلد واحد كبير وفيه جزأين. وهذا التفسير تلخيص لكتاب (ضياء التأويل في معاني التنزيل) بحيث تجنب فيه الإطناب في مسائل اللغة وإيراد القراءات السبع وذكر ما تحتمله من المعاني، وذلك لأن الكتاب ألفه للمبتدئين، ويمكن إدراك هذا القصد من عنوان التفسير. وقد حقق الجزء الأول منه طالب (نيجيري) محمد ثاني موسى أياغي من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، في رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في التفسير، بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم السودان سنة 2004م. وقام بتحقيق الجزء الثاني طالب (موريتاني) حامد إبراهيم حامد من سورة مريم عليها السلام إلى سورة الناس، بالجامعة المذكورة عام 2003م، قدم ذلك رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير في التفسير ولله الحمد والمنة طبعت الرسالتين في مجلدين.

وأما تفسيره الثالث فهو جمع مما فسره النبي ﷺ، الموجود في بطون الكتب المختلفة، فجمعها في كُتيب صغير وسماه ب(نيل السؤال من تفاسير الرسول) ﷺ. وله كتاب آخر يتعلق بالتفسير وهو كتاب (مفتاح التفسير) نظم فيه أكثر من ألف بيت شعر في علم التفسير وما له علاقة بعلوم القرآن من مدارس التفسير في أيام الصحابة والتابعين، الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وغير ذلك مما يتعلق بهذا العلم.

---

[2] – لأشعرية هم: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر الشهرستاني، **الملل والنحل** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1406) ص19.

[3] – الشريف التلمساني هو: محمد بن أحمد بن علي الادريسي الحسني، أبو عبد الله العلويني المعروف بالشريف التلمساني: باحث من أعلام المالكية، انتهت إليه إمامتهم بالمغرب. كان من قرية تسمى العلوين (من أعمال تلمسان) ولد سنة 710هـ ونشأ بتلمسان، ورحل إلى فاس مع السلطان أبي عنان، ثم نكبه أبو عنان، واعتقله شهرًا. وأطلقه (سنة 756) وأقصاه، ثم أعاده وقربه (سنة 759) ودعي إلى تلمسان، وكان قد استولى عليها أبوحمو (موسى بن يوسف) فذهب إليها، وزوجه " أبوحمو" ابنته، وبني له مدرسة أقام يدرس فيها إلى أن توفي سنة 771هـ. ومن كتبه "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع والاصول" في أصول الفقه، كتب عليه عبد الحميد ابن باديس شرحًا مختصرًا. انظر: الزركشي، **الأعلام**، ج5 ص327.

فهذه بعض المؤلفات الشيخ عبدالله في التفسير وعلومه في عصر الشيخ عثمان بن فودي[4] رحمه الله، ومن المؤكد أن هناك مؤلفات لم تصل إلينا، وذلك لثلاثة أسباب:

1 – تغيير نظام الإمارات الفودية إلى نظام وراثي، ومن المعروف كما يحكي لنا التاريخ أن النظام الوراثي لا يراعي في الغالب مصالح الدين والأمة في نصب الإمام، وقد يموت عالم تقي مجتهد، ويُولى بعده أجهل أبنائه وأفجرهم، فأمثال هؤلاء لا يعرفون قيمة ما ترك آبائهم من التراث العلمي، فيدخرونه في مكان دون الرجوع إليه ولا المبالاة به حتى تأكله الأرضة وغيرها من الحشرات. فنظام الدولة هو أن يولى على الناس أعلمهم، فكل الأمراء من خيرة تلاميذ الشيخ عثمان بن فودي، فنجد سلطان محمد بلو[5] بن الشيخ عثمان المجدد، عند ذكره لأحد الأمراء، يصفه بقوله: الفقيه المجتهد، والآخر يصفه بأنه فقيه متفنن، وتقي صالح أو محدث ماهر. فلا شك أن هؤلاء الأمراء العلماء الجهابذة، قد سلكوا منهج شيخهم في التأليف إلا أن كثيرًا مما ألّفوا ضاع أو لم يصل إلينا ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ**﴾[مريم :59].

2 – إتلاف المستعمر لكثير مما أُلّف، بحيث قام بحرق بعضها وتمزيق البعض الآخر وذهبوا بالبعض إلى بلادهم كما كان دأبهم إذا دخلوا بلدًا من بلدان الإسلام.

3 – مخطوطات لم تطبع وقد تحقق الباحث على أن هناك مائات من المخطوطات التي لم يتم طبعها حتى الآن مما ألفه ثلاثة رجال فقط وهي: مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي ومؤلفات أخيه الشيخ العلامة عبدالله بن فودي وسلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي. وهي موجدة حاليًا بعضها في مكتبة وزير جنيد[6] في سكتو، والبعض الآخر في قصر السلطان، وزاد على هذا ما كتبه وزراء سكتو وغيرهم من رجال الدولة وعلمائها من المؤلفات الكثيرة، ولو تتبعنا قصور الأمراء والملوك في جميع الدولة، لوجدنا شيئًا نافعًا ولكن من يقوم بهذا الأمر؟ ومن يسمح له بذلك؟.

علم التفسير في العصر الحاضر

أبرز من ألف في هذا الفن في العصر الحاضر، الشيخ أبو بكر محمود جومي رحمه الله، قاضي قضاة شمال نيجيريا سابقًا، فقد ألف كتابه الأول في ترجمة معاني القرآن إلى لغة هوسا، باسم (ترجمة أبي بكر محمود

---

[4] – هو أبو محمد عثمان بن محمد بن عثمان, المعروف بابن فودي الشيخ المجاهد المجدد، أنظر : محمد بلو، **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**، ص57.

[5] – هو : محمد بلو بن عثمان بن محمد بن عثمان بن فودي, أمير المؤمنين بعد وفاة أبيه الشيخ عثمان بن فودي. صاحب كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.

[6] – هو وزير سلطان محمد بلو في عهده.

جومي). وكانت ترجمته ترجمة حرفية إلا أنه كان يشرح فيها بعض الكلمات الغامضة، وما يحتاج إلى الشرح من المسائل الفقهية والعقيدة، بَيد أنه استخدم في هذا الكتاب كلمات ليست معروفة عند معظم أهل المنطقة، لكونها من لهجة أهل سكتو وأكثر لهجات هوسا شيوعًا هي لهجة أهل كنو وما جاورها، لكونها مركزًا تجاريًا للمنطقة، فطلب منه بعض من راجع الكتاب أن يبدل الكلمات الغريبة بالكلمات المعروفة الشائعة لتعم الفائدة فلم يبدلها إلا أنه قام بتوضيح جلها في الصفحات الأخيرة من الكتاب. وبعد هذا أُلِّف كتابان عظيمان في ترجمة معاني القرآن، أحدها للشيخ محمد ناصر كَبَرَ رحمه الله شيخ القادرية في غرب أفريقيا. والثاني للقاضي ناصر مصطفى أمتع الله بأيامه. وكلاهما راجع كتاب الشيخ جومي ونبهه على ضرورة تبديل الكلمات الغريبة بالكلمات الشائعة المعروفة كما سيأتي الكلام عن كتابيهما. إن شاء الله.

ومما ألفه الشيخ أبوبكر محمود جومي في هذا الجانب، تفسيره المشهور في المنطقة، المسمى بـ(رد الأذهان إلى معاني القرآن) مطبوع في مجلدين، ثم طبع في مجلد كبير. ومنهج الشيخ في تأليف تفسيره يشبه منهج جلال الدين المحلي[7] في تفسير الجلالين الذي أتمه جلال الدين السيوطي[8] رحم الله الجميع، إلا أنه يختلف على الجلالين في ربط تفسير بعض الآيات بواقعنا المعاصر، كما في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل:79] وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ [الملك:19]. فقد أشار عند تفسيره للآية الأولى في سورة النحل، إلى أن كلمة ﴿**مُسَخَّرَاتٍ**﴾ يفهم منها استخدام الإنسان لها وتسخيرها لخدمته ولا يتحقق هذا بوضوح إلا في الطائرات المستخدمة الحديثة. وقال في الآية الثانية التي وردت في سورة الملك هي تشير إلى الطير العادي وصفوفهن وقبض أجنحتهن في أثناء الطيران ولاستمرار في الطيران على تلك الهيئة من غير أن تسقط دليل واضح على أن الذي يمسكها بتحرك أجنحتها أو بقبضها هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء. وأيضا يختلف الشيخ جومي مع الشيخ الحافظ العلامة السيوطي عند الكلام عن تفسير آيات العقيدة أو الصفات، كاختلاف

---

[7] – جلال الدين المحلى، هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلى الشافعى أصولي مفسر مولده ووفاته بالقاهرة سنة 864هـ، من كتبه تفسير الجلالين أتمه الجلال السيوطى وكنز الراغبين فى شرح المنهاج والبدر الطالع فى حل جمع الجوامع وغيره. انظر: **موسوعة الأعلام المصرية**، ج1 ص108.

[8] – السيوطى هو: عبد الرحمن بن ابى بكر بن محمد بن سابق الدين الخصيرى السيوطى جلال الدين إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ستمائة مصنف نشأ فى القاهرة يتيما وبها توفى سنة 911هـ.. ومن أشهر مؤلفاته الإتقان فى علوم القرآن والأشباه والنظائر فى العربية، والأشباه والنظائر فى فروع الشافعية والحاوى للفتاوى. انظر **موسوعة الأعلام المصرية**، ج2 ص120.

الواقع بين مدرسة الأشعرية وأهل الحديث فيها، وهذا الكتاب يعتمد عليه في التفسير كثير من تلاميذه وبعض الشباب الذين درسوا في الجامعات وهو المرجع الثاني في المنطقة بعد تفسير الجلالين.

وكتب الشيخ محمد ناصر كَبَرَا تفسيره (إحسان المنان في إبراز خبايا القرآن) في أربعة مجلدات متوسطة بِلغة هوسا فكثير من الناس يقولون هو ترجمة معاني القرآن وليس بتفسير. وحقيقة الأمر هو تفسير بلغة هوسا إذ كان يشرح الآية مع ذكر وجهة نظره لها وكلام العلماء فيها. فالترجمة تقتصر على معاني الكلمات في سياق جملها من غير إبداء الرأي أو الشرح.

ثم كتب الشيخ القاضي ناصر مصطفى وآخرون ترجمتهم لمعاني القرآن المسمى بـ(لباب البيان لمعاني القرآن) وهو أيضا مطبوع في مجلدين إلا أنه لم يكن معروفًا لدى كثير من طلبة العلم لعدم طباعته بالكثرة. وأما ميزة هذه الترجمة على غيرها هو استعمال الكلمات السهلة والشائعة مع ترجمتهم للكلمات المرادفة بما يقرب معناها، مثلًا: كلمة (الخوف) يشترك في معناها كل من: الخشية والرهبة والرعب والفزع. فيترجم كلا منها بكلمة تناسبها في اللغة المحلية. فهذا مما جعل هذه الترجمة مرجعًا ينبغي الرجوع إليه في معرفة معاني مفردات اللغة والكلمات القرآنية في لغة هوسا.

وهناك كتاب ترجمة معاني القرآن يُنسب إلى بشير أحمد محي الدين (هندي) جاء نيجيريا في سنة 1967م من حسن نيته رغم أنه لا يجيد لغة هوسا لكن قام بتكوين لجنة مكونة من الشيخ القاضي ناصر مصطفى والشيخ تجاني يوسف سوداوا وآخرون فكانت هذه الترجمة تنسب إليه وهي مطبوعة في مجلد كبير الحجم متوافرة في الأسواق.

مناهج علماء المنطقة في إلقاء دروس التفسير

مما يُثبت تدهور هذا العلم في المنطقة هو عدم إقبالها عليه إلا في شهر رمضان. وأما في غير رمضان فلا تجد من يعتني به إلا واحدًا أو اثنين في المائة وكما هو معروف أن القرآن الكريم سُهِّل للذكر كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر:17]. فمن حيث إدراك ظواهره وعمومه ما يجعل كل من يستطيع القراءة وفهم المقروء يجد في نفسه أنه أهل للقيام بهذه المهمة، فيطلب منه على بعض العوام الذين لا يعرفون خطورة الأمر أو ينصب نفسه مفسراً في أحد مساجد الحي أو مجالس الشباب أو يجمع النساء في مدرسة أو مكان يفسر لهن القرآن حسب فهمه والقوم يرفعونه إلى ما لم يصل إليه من العلم. وهذا السبب يجعله يخجل أن يقول لا أدري لعدم الإخلاص أو حب الشهرة وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا

اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[9]. ففي شهر رمضان تكثر هذه الحلقات بل وحتى في قصور الملوك والأغنياء يخصص لهم من يفسر القرآن في رمضان ولا بأس بهذا لو كان الاختيار يأتي من قبل لجنة علمية متخصصة أو من عالم من علماء التفسير. وإنما في بعض الأحيان، يأتي الاختيار بمجرد كون هذا الرجل من طلبة العلم في الثانوية أو يتكلم بالعربية وإن لم يدرس في المدرسة وليس له شيخ أخذ عنه هذا العلم أو يكون أخذ من الشيوخ ولكن لما يتأهل للتصدر في الأمر كما نسمع ونشاهد في الإذاعات والتلفاز في أيام رمضان ولياليه فهذه صفة أكثر من يخوض في هذا الفن في المنطقة، فينتج منها المنهج الآتي في إلقاء دروس التفسير:

1 – الاعتماد الكامل على كتب تراجم معاني القرآن إلى لغة الشعب التي سبق ذكرها، وعدم قبول أي معنى آخر يخالف ما في الترجمات المكتوبة وإن كانت الآية تحتمل أكثر من معنى، مما أدى إلى تقديس أفهام المترجم واجتهاداته في الترجمة، وعدم التفريق بين تقديس النص القرآني وما يفهم منه من أعمال العقول البشرية. فالترجمة لا تستوفي جميع معاني الكلمة. ولهذا قال الزركشي نقلاً عن الإمام البزدوي[10] في شرحه: "واستقر الإجماع على أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه، ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذي اختص به دون سائر الألسن وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي لما كان التحدي بنظمه فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره[11].

---

[9] – أخرجه البخاري في **صحيحه**، باب كيف يقبض العلم، ج1، ص176. برقم: 98. وأخرجه مسلم في **صحيحه**، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، ج13، ص160. برقم: 4828.

[10] – هو: علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد أبو الحسن فخر الإسلام البزدوي الفقيه بما وراء النهر صاحب الطريقة على مذهب الإمام أبي حنيفة توفى يوم الخميس خامس رجب سنة أثنين وثمانين وأربعمائة ودفن بسمرقند له كتاب المبسوط أحد عشر مجلدا وشرح الجامع الكبير وشرح الجامع الصغير وكتابه في أصول الفقه مشهور قلت قد خرجت أحاديثه ولم أسبق إلى ذلك والله الموفق قال الذهبي وكان مولده في حدود الأربعمائة روى عنه أبو المعالي محمد بن نصر الخطيب. انظر ابن قطلوبغا، **تاج التراجم في طبقات الحنفية** (بغداد: مطبعة بغداد، ط1، 1962م) ج1، ص14.

[11] – محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل المصري الشيخ بدر الدين الزركشي ولد سنة 745 وعني بالاشتغال من صغره فحفظ كتبا وأخذ عن الشيخ جمال الدين الاسنوي والشيخ سراج الدين البلقيني ولازمه ولما ولي قضاء الشام استعار منه نسخته من الروضة مجلدا بعد مجلد فعلقها على الهوامش من الفوائد فهو أول من جمع حواشي الروضة للبلقيني وذلك في سنة 695 وملكتها بخطه قبل أن يقف عليه الزركشي فلما أعرتها له انتفع بها فيما كان قد خفي من أطراف الهوامش في نسخة الشيخ وجعل لكل ما زاد على نسخة الزركشي زايا وعني الزركشي بالفقه والأصول والحديث فأكمل شرح المنهاج واستمد فيه من الاذرعي كثيرًا، وكان رحل إلى دمشق فأخذ عن ابن كثير في الحديث وقرأ عليه مختصره ومدحه ببيتين ثم توجه إلى حلب، فأخذ عن الاذرعي ثم جمع الخادم على طريق المهمات فاستمد من المتوسط للاذرعي كثيرًا لكنه شحنه بالفوائد الزوائد من المطلب وغيره وجمع في الأصول كتابًا سماه البحر في ثلاثة أسفار وشرح علوم الحديث لابن الصلاح وجمع الجوامع للسبكي وشرع في شرح البخاري فتركه مسودة وقفت على بعضها ولخص منه التنقيح في مجلد وشرح الأربعين للنووي وولي مشيخة كريم الدين وكان منقطعا في منزله لا يتردد إلى أحد إلا إلى سوق الكتب وإذا حضره لا يشتري شيئا وإنما يطالع في حانوت الكتبي طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبه ثم

ومن هنا قال القفال: "لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية قيل له فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن قال ليس كذلك, لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله"[12]. أي أن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها وذلك غير ممكن بخلاف التفسير وما أحاله القفال من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس[13] في فقه العربية أيضًا فقال: لا يقدر أحد التراجم أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن كما نقل الإنجيل من السريانية إلى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء**﴾ [الأنفال: 58] لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها. فتقول إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا؛ فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وآذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء. وكذلك قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً**﴾ [الكهف:11]. انتهى.

فظهر من هذا أن الخلاف في جواز قراءته بالفارسية لا يتحقق لعدم إمكان تصوره ورأيت في كلام بعض الأئمة المتأخرين "أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة، فأما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة وينبغي أن يقتصر من ذلك على بيان المحكم منه والغريب بمقدار الضرورة من التوحيد وأركان العبادات ولا

يرجع فينقله إلى تصانيفه وخرج أحاديث الرافعي ومشى فيه على جمع ابن الملقن لكنه سلك طريق الزيلعي في سوق الأحاديث بأسانيد خرجها فطال الكتاب بذلك ومات في ثلث رجب سنة 794 بالقاهرة. انظر : ابن حجر العسقلاني , **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** (بيروت: دار الفكر، ط1، 1989م. باب ذكر من اسمه محمد، ج1، ص479.

[12] – هو : القفال الشاشي، الامام العلامة، الفقيه الاصولي اللغوي، عالم خراسان، أبو بكر، محمد بن علي بن إسماعيل بن الشاشي الشافعي القفال الكبير، إمام وقته، بما وراء النهر، وصاحب التصانيف. قال الحاكم: كان أعلم أهل ما وراء النهر بالاصول، وأكثرهم رحلة في طلب الحديث. سمع أبا بكر بن خزيمة، وابن جرير الطبري، وعبد الله بن إسحاق المدائني، ومحمد بن محمد الباغندي، وأبا القاسم البغوي، وأبا عروبة الحراني، وطبقتهم. قال الشيخ أبو إسحاق في "الطبقات" توفي سنة ست وثلاثين. انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (بيروت: دار الفكر، ط1، 1991م) ج16 ص283.

[13] ابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والادب.

قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، سنة 395هـ وإليها نسبته. من تصانيفه (مقاييس اللغة – ط) ستة أجزاء، و(المجمل – خ) طبع منه جزء صغير، و(الصاحبي – ط) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد، و(جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات، و(النيروز – ط) في نوادر المخطوطات، و(الاتباع والمزاوجة – ط) و(الحماسة المحدثة) و(الفصيح) و(تمام الفصيح) و(متخير الالفاظ – ط) و(ذم الخطأ في الشعر – ط) و(اللامات – ط) و(أوجز السير لخير البشر – ط) في 8 صفحات، و(كتاب الثلاثة – خ) في الكلمات المكونة من ثلاثة حروف متماثلة، وله شعر حسن. انظر الأعلام للزركلي، ج1 ص 193.

يتعرض لما سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللسان العربي وهذا هو الذي يقتضيه الدليل"[14].

2 – أخذ أقوال المفسرين من غير التنقيح أو عرضها على ميزان الحق من الكتاب الذي لا يعارض بعضه بعضاً، والسنة الصحيحة التي لا تعارض النصوص الثابتة والعقول السليمة. ويتسبب من هذا التعصب الأعمى وجمود الفكر وتعزيز روح التبعية المذمومة. ويقفل باباً مهماً بل أساسياً لمهمة هذا الكتاب العزيز، وهو كونه صالحاً لكل زمان ومكان فالاعتماد على مجرد قراءة ما كتبه المفسرون دون محاولة ربط ذلك بواقعنا وحالنا، يجعلنا نفهم كأنه كتاب تاريخ يقص علينا أخبار من مضوا من الأمم، وكأن الخطاب فيه موجه إليهم فقط.

3 – جعل كل ما كتبه صاحب الكتاب من المسلمات القطعية، ومن فسر القرآن بسواه فهو ضال وهالك لأنه ليس بأعلم من صاحب التفسير ولا سيما إذا كان من المفسرين القدامى أو المشهورين، فيجعله معصومًا لا يخطأ، فكل ما كتبه صحيح لا يعارضه غيره.

فمنهج أكثر علماء المنطقة يجري على هذا النمط حيث يعتمدون على أحد التفسيرين في إلقاء دروسهم، إما تفسير الجلالين بحاشية الصاوي[15]، وهو المشهور في المنطقة شرقاً وغرباً، أو تفسير رد الأذهان إلى معاني القرآن للشيخ أبوبكر محمود جومي، تعتمد عليه مجموعة معينة تسمى (جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة).

والغريب من بعض الدخلاء في هذا الأمر، هو إصرارهم على التمادي في الباطل فيحفظون معاني المفردات من الآيات المراد تعليمها من كتب ترجمة معاني القرآن المذكورة ثم يمسك أحد التفسيرين أمام الناس يقرؤه ولكن تفسيره لا يوافق ما في الكتاب لأنه يستحضر ما حفظه من كتب تراجم معاني الآيات.

ويوجد في المنطقة، نخبة من العلماء من يقدم تفسيره بطريقة بحثية مع المقارنة بين أقوال المفسرين وتمحيصها. وتجنب الإسرائيليات والاعتماد على ما صحّ من الأحاديث والآثار ورفض ما سواها، مع الإشارة إلى من أوردها في تفسير ونقدها وتفنيد حججه بطريقة علمية من غير الوقوع في عرضه بل من باب الأمانة العلمية، إمتثالاً بقول الله تعالى:﴿... **لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ** ...﴾ [آل عمران:187] وتطبيقا لقوله:

---

[14] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** (دمشق: دار الفكر، ط1، 1988م) ج1 ص365 – 366.

[15] الصاوي هو: أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر. ولد سنة 1175هـ/1825م. وتوفي بالمدينة المنورة.سنة 1241هـ/1825م, انظر: االزركلي، الأعلام، ج1 ص246.

ومن كتبه (حاشية على تفسير الجلالين) وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية والفرائد السنية، شرح همزية البوصيري، في دار الكتب.

﴿..فَبَشِّرْ عِبَادِ • الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:17-18]. وأصحاب هذا المنهج قلة يُعَدّون بالبنان.

كما أشار إلينا سابقًا أن هذا العلم الشريف لم يحظ هذا العلم الشريف بالاهتمام والرعاية في المنطقة إلا شهرًا واحدًا في السنة وهو شهر رمضان. أما في بقية الشهور فلا تكاد تسمع صوت مفسر يفسر القرآن إلا نادرًا في بعض مجالس أهل العلم وبعض المساجد. وإلا من يجعل التفسير تجارة يتجر به في الأسواق وأبواب المساجد يوم الجمعة وهؤلاء دخلاء في علم التفسير وليسوا من أهله ولا يزيدون للأمة إلا جهلاً بكتاب ربها. فنرى في المنطقة كثرة من يزعم تفسير القرآن ولا نرى ثمرات هذه التفاسير لكونها ليست على النهج العلمي السليم الذي يستطيع فيه المفسر أن يربط تفسيره بما في واقعه كما هو دأب السلف الصالح رضوان الله عليهم.

خاتمة:

اتضح للباحث أنه لم يكتب في التفسير باللغة العربية في عصر الشيخ عثمان بن فودي إلا ما كتبه الشيخ عبدالله بن فودي. وهما كتابيه "ضياء التأويل في معاني التنيل" و"كفاية ضعفاء السودان". وكتيب صغير جمع فيه تفاسير الرسول وسماه ب"نيل السول من تفاسير الرسول". ومنذ عصر الشيخ إلى يومنا هذا ما كتب في التفسير إلا كتاب الشيخ أبو بكر جومي المسمى ب"رد الأذهان إلى معاني القرآن" ولكتابي الشيخ عبدالله ميزة تفوق بعض الكتب المعتمدة في التفسير لدى علماء المنطقة ولم يظهر للباحث السبب الذي جعل العلماء يعدلون عنها إلى غيرها التي لا تساويها في النفع والفائدة.

ونظرًا لهذا الواقع يقترح الباحث المقترحات الآتية:

- أن تقوم المؤسسات العلمية بتحقيق وشرح مؤلفات الفوديين كي ينتفع بها الناس.
- أن يعقد دورات تعريفية وعلمية حول ما كتبه الفوديون مع إبراز ما تتضمنه من الفوائد العلمية والتربوية.
- على الموسرين والجماعات الإسلامية والحكومات المحلية أن يقوموا بطبع الكتب المحققة ونشرها وتوصيلها إلى أنحاء المعمورة حتى ينتفع بها العامة وتعرّف.
- على العلماء في المنطقة أن يتخذوا تفسير الشيخ عبد الله بمثابة مرجع يعتمدونه في تفسيرهم حتى يعتاده أهل المنطقة.

المراجع

القرآن الكريم

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد. **زاد المسير في علم التفسير**. (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1983م).

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله. **أحكام القرآن**. (بيروت: دار الجيل، ط1، 1985م).

ابن حزم، علي بن أحمد. **الإحكام في أصول الأحكام**. (مصر: دار الكتب العلمية، ط1، 1985م).

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. **ذيل طبقات الحنابلة**. (القاهرة: دار الحديث، د.ط، د.ت).

ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. **سنن ابن ماجه**. (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1994م).

أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. (بيروت: دار الميسرة، ط2، 1979م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. **سنن أبي داود**. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

أبي عيسى، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**. (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1994م).

أحمد بيلي. **إختلاف بين القراءات**. (بيروت: دار الجيل، ط1، 1988م).

الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي. **الإحكام في أصول الأحكام**. (مصر: دار الكتب العلمية، ط1، 1985م.

الجصاص، أبو بكر أحمد الرازي. **أحكام القرآن**. (دمشق: دار الفكر، د.ط، د.ت)

الجوزجاني، إبراهيم بن يعقوب. **أحوال الرجال**. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1405هـ).

الدارمي، أبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن فضل. **سنن الدارمي**. (دمشق: دار القلم، ط2، 1996م).

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد. **سير أعلام النبلاء**. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ).

رفائيل نخلة اليسوعي. **قاموس المترادفات والمتجانسات**. (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ط، 1958م)

السيوطي، جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**. (بيروت: المكتبة العصرية. ط1، 1987م)

العلامة الشيخ عبدالله بن فودي. **ضياء التأويل في معاني التنزيل**. (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)

القيسي، مكي بن أبي طالب. **الإبانة عن معاني القراءات**. (عمان: دار المأمون , ط1، 1979م)

مصطفى السفطي وآخرون. **رسالة في المترادفات**. (مصر: المطبعة الأميرية الكبرى, ط5، 1903م)

مصطفى سعيد الخن. **أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء**. (بيروت: مؤسسة الرسالة, ط5، 1989م)

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. **سنن النسائي**. (بيروت: دار الفكر، ط9، 1930م)